

سيمون دي بوفوار: المرأة لا تُولد امرأة وإنما تصبح كذلك



سارتر الذي كان وقتها طالباً في قسم الفلسفة، ونشأت قصة حب بينهما استمرت حتى وفاة سارتر عام ١٩٨٠. وفي الأعوام ١٩٣١-١٩٤٣ عملت بوفوار في تدريس الفلسفة في ثانويات مختلفة في أرجاء فرنسا. حتى أصبحت استاذة جامعية للفلسفة بالسوربون في ١٩٤٣. نفس العام الذي نشرت فيه روايتها الأولى «المدعوة». وكانت هذه الأعوام الأهم في صقل شخصيتها كفيلسوفة ومفكرة، لا سيما في المجال النسوي كما استعرضتها في عام ١٩٨١ عندما كتبت «مباركة الانفصال عن سارتر» وبه وصف صعب للسنوات الأخيرة التي عاشها سارتر.

في ١٩٤٩ نشرت كتابها «الجنس الآخر» الذي ضمنه الكثير من رويتها الفكرية لقضايا المرأة والذي يعتبر أهم إصداراتها، ناقشت فيه أوضاع المرأة التاريخية والاجتماعية والنفسية والثقافية في العصر الحديث، رابطة بين وضعية المرأة الفرنسية في القرن العشرين بالنماذج التحقيقية التي حاك خيوطها مذهب القديس (توما الاكوييني)، وفيه اعتبرت دي بوفوار أن المرأة الفرنسية تعاني من اضطهاد نظري تمارسه سطوة الرجل العاطفية عليها، فيتحول من انسان واقعي إلى رمز شبيه بالآلهة، وإن ذلك ترفض دي بوفوار ظواهر تأليه الرجل والخضوع للحب واعتبار المرأة مجرد «آخر» وبحسب دي بوفوار «لا تولد المرأة امرأة... بل تصبح كذلك» إذ ليس ثمة قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرء كأنثى في المجتمع، فالأنثى تتحول إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلط تشكلت شخصيته

في ١٩٤٩ نشرت كتابها «الجنس الآخر» الذي ضمنه الكثير من رويتها الفكرية لقضايا المرأة والذي يعتبر أهم إصداراتها، ناقشت فيه أوضاع المرأة التاريخية والاجتماعية والنفسية والثقافية في العصر الحديث، رابطة بين وضعية المرأة الفرنسية في القرن العشرين بالنماذج التحقيقية التي حاك خيوطها مذهب القديس (توما الاكوييني)، وفيه اعتبرت دي بوفوار أن المرأة الفرنسية تعاني من اضطهاد نظري تمارسه سطوة الرجل العاطفية عليها، فيتحول من انسان واقعي إلى رمز شبيه بالآلهة، وإن ذلك ترفض دي بوفوار ظواهر تأليه الرجل والخضوع للحب واعتبار المرأة مجرد «آخر» وبحسب دي بوفوار «لا تولد المرأة امرأة... بل تصبح كذلك» إذ ليس ثمة قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرء كأنثى في المجتمع، فالأنثى تتحول إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلط تشكلت شخصيته

فتحرر المرأة حسب كاتبنا رهين بمدى استطاعتها تغيير الصورة التي ينظر بها الرجل لها ولخصائصها الجسدية والنفسية، ومدى تحررها من الموروث الثقافي الذي يشكل سلبا حيواتها اللاواعية، وهذا الدور منوط أكثره بالمرأة الكاتبة التي تملك ناصية اللغة لتبليغ المشاعر والأحاسيس «للآخر» الذي تمثل المرأة في عُرفه الجنس «الآخر» فالأنثى تحول إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلط تشكلت شخصيته انطلاقاً من مفهوم السلطة التي وضعت ملامحها وحدودها السلطة الاقتصادية عبر العصور، ومن هنا انتهت سيمون، و



لو في وقت متأخر، الي أن النضال الاجتماعي والاقتصادي هو من أهم ركائز التغيير في وضعية المرأة، والأساس هو الاضطراب الصعب والمشاركة الفاعلة في قضايا المجتمع. الي جانب الكتب النظرية، كانت دي بوفوار أيضاً قاصة وادبية من طرازٍ ديبع وقد نالت روايتها «المنقون» (١٩٥٤) جائزة غوزكور. في هذه الرواية تظهر الكاتبة نفسها في دور

انطلاقاً من مفهوم السلطة التي وضعت ملامحها وحدودها السلطة الاقتصادية عبر العصور. والحضارة في أبعديتها هي التي تصنع هذا المخلوق الذي يقف في موقع أدنى من الذكر ويوصف بأنه مؤنث، وإن الآخر (الرجل) أساس جوهري في صياغة الذات الانثوية والانسانية بكاملها. وهنا اثار دي بوفوار أزمة (القيم الانثوية)، التي اعتبرت ممارسات

الاساسي الذي هو ضرورة الدخول

بصحبة رجل (او في ركابه على الأقل) وتكرر بصورة صريحة في ملف «النوفيل اوبسرفاتور» احتفالاً بمؤيتها العام الماضي. هل الانتقام في شكل الاحتفاء من مؤسسات المجتمع الذكوري... لا أدري او لا اجرو على أن ادري...

غير أن آخر ما ورد في ذكر سيرة سيمون دي بوفوار كان رفض الرواية الفلسطينية الشهيرة: سحر خليفة تسلم جائزة سيمون دي بوفوار لتحرير النساء. وذلك بعد أن اشترطت لجنة التحكيم حصولها عليها مناصفة مع كاتبة اسرائيلية (مغمورة) كتبت مقالة مطولة ألي الرجال الاسرائيليين تنتقد فيها موقف اليهود المتشددين من وقوف النساء أمام وسائل نقل مختلفة عن تلك التي يقف بها الرجال وقالت خليفة صاحبة (لسنا جوارى لكم) في رسالتها للاعتذار عن قبول الجائزة: (أن نصف الجائزة يعني نصف اعتراف وتقدير. وهذا يعني أنك لا تعترفون بي ولا تقدروني ككاتبة وناشطة نسوية ذات انتشار واسع عربياً وعالمياً إلا إذا نلت الدعم والمباركة من الجانب الإسرائيلي) واعتبرت أن هذا الشرط يضيف إليها قيوداً جديداً وأن التحرر من كل قيد هو أهم وأعلى من أي جائزة في العالم. واعترضت على تبرير لجنة التحكيم باعتقادها أن حصول كاتبين فلسطينية واسرائيلية سيعزز فرص السلام بقولها «لو أن الجوائز تصنع السلام، لتحقق السلام منذ أن حصل كل من عرفات ورايين وبييريز على جائزة نوبل»

لكنها أكدت أيضاً على أن سيمون التي تحمل الجائزة أسماها كانت «أيقونة ومثالا وتمثالا أحطته منذ صباي البعيد بالإجلال والإعجاب والتقدير»
عموماً تمر في عامنا هذا الذكرى الـ ١٠١ لميلاد ابنة فرنسا الثائرة على كلاسسيكيات العقل الأوربي والداعية لانسنة الانسنان بمساوته باخيه الانسنان ايا كان نوعه، جنسه أو سنه.

الزوجة التي تعمل محللة نفسانية. كما يظهر سارتر والبير كامو بالقسط الأدنى من التمويه، الرواية التي تزخر بالحوارات الفلسفية ليست سيرة ذاتية، لكن شخصها حقيقيون واهميتها أتت من قدرتها على التغلغل في اعماق الوسط الثقافي الفرنسي او ما كان يعرف بـ «الصفة الغربية» وقد تمكنت دي بوفوار بفضل معاشتها لذلك الوسط وحساسيتها المفرطة في التقاط سماته ومميزاته ان تجعل من هذه الرواية صرحاً يخلد الحياة الثقافية في حقبة ما بعد الحرب في فرنسا ويعكس الصراع بين ابراج المثقفين العاجية وبين الحاجة الي مشاركة فعالة من قبلهم في النضال السياسي.

من بين كتب دي بوفوار المهمة كتابها «الشيخوخة» الذي صدر عام ١٩٧٠ وقد اعطت فيه دي بوفوار للشيخوخة ما سبق لها أن اعطته للنساء في كتاب «الجنس الثاني» فقد تناولت أولاً موقف الحضارات المختلفة من التقدم في السن وكيف يستحيل الانسان بفعل الشيخوخة الى كم مهمل لا دور له سوى انتظار الموت. وهو اول كتاب جاد يكسر حاجز الصمت المفروض على هذا الجانب مع المعاناة الانسانية. ولعله اليوم اجدر بالاهتمام مما كان عليه يوم صدوره بالنظر لاستفحال أزمة الشيخوخة في العالم وبروز ظاهرة مجتمعات الكهولة. كتبت سيمون دي بوفوار سيرتها الذاتية في أربع كتب: (مذكرات ابنة مطبوعة - في ربيع الحياة - قوة الظروف - كل شيء قبل وحدت) وكانت كلها قطع ادبية رفيعة ارحت للحركة الثقافية الفرنسية بعد الحرب الثانية لكن سؤال المليون دولار يبقى يدور خجلاً حول الامر ولا يلجأ: هل اتت صورة دوفوفوار كإمرأة شغوفة وإمرأة تعيسة، متسلطة وخاضعة، ذكية، ممثلة الجسد، أنيقة بالرغم من تسريحة شعرها الغربية، تلتهم العشاق مع أنها ارتبطت على الدوام برجل واحد كما ورد وصفها في ذكر الأدب الفرنسي مرارا تحقيقاً للشرط الاساسي الذي هو ضرورة الدخول



د. أمجد فريد الطيب

« رغبة مني في الحديث عن نفسي، أرى أنه ينبغي لي وصف الوضعية النسائية. فإذا كانت الأنوثة وحدها لا تكفي لتعريف المرأة ورفضنا أن نفسرها بمفهوم «المرأة الخالدة» وبالتالي إذا كنا، نسلم ولو بصورة مؤقتة، أن هناك نساء على الأرض، فعلياً حينئذ أن نتساءل ما هي المرأة؟»

سيمون دي بوفوار (الجنس الآخر) بيروت ١٩٧٩، ص: ٦

بهذا التساؤل بدأت سيمون دي بوفوار كتابها الأشهر في المسألة النسوية عن (الجنس الآخر) والذي بحثت فيه ما أسمته بالهزائم الكبرى للمرأة في تاريخ البشرية ابتداءً من تاريخ الأفكار التفاضلية الفظة التي قطعها إرسطو من شيطو ساي) و انتهاءً بمجموع الموروثات الثقافية التي شكلت مفهوم الانثى في العقل الأوربي الكلاسيكي مروراً بالتناول النقدي الخلاق لأطروحات الكتاب المقدس حول المرأة - مستندة بالأساس لفحوى النص التوراتي التي ترجح كفة الاعتراف بالتفوق الذكوري كاساس قديم و راسخ قدم الوجود و رسوخه - التي نسفتها دي بوفوار بالاستناد العلمي على مرتكزات علم التاريخ و كتابات انجلز الجديدة عن قضية المرأة التي أكد فيها على أن الهزيمة الأولى للمرأة جاءت عندما اسقط بنو البشر حق النسب الأمومي (الحق الأمهات في نسبة الأبناء لاسمهم) تلك التي ادت الي الغاء او انتهاء الجينيكوقراطية (مرحلة حكم او سيادة النساء) إلا ان دي بوفوار بعد بحثها للاطر الأخرى غير تلك الاقتصادية التي تعمق انجلز في دراستها مما يليه، قامت بدراسة العوامل الأخرى التي اجترأت على النساء في تهاويهم الحر الي ذلك الدرك الذي سيطر على تعرجات العقل الأوربي حتى بعيد مرحلة الحرب الثانية و العواصف الفكرية التي مر بها ذلك العقل بعدها . فتمعقت في دراسة مفهوم الجندر (النوع) و كانت اول داعية الي سيرة الفيمينيسم و ان لم تسمها لتفتح على نفسها ابواب جهنم من سخرية اليمين و اليسار لتحرم الكنيسة كتبها و ينعنها الشيوعيون بالانصرافية (و ذلك حق.. في مرحلة كانت عاملات مصانع رينو يبحثن سبل الاضراب لزيادة الأجر و حق العمل المتساوي).

سيمون دي بوفوار (٩ كانون الثاني ١٩٠٨ - ١٤ نيسان ١٩٨٦) اول من درست الفلسفة في جامعة «كول نورمال سوبراير» (المدرسة العليا) والتي كانت جامعة تضم الذكور فقط حينها. وفي سن الـ ٢١ تخرجت من الجامعة، و تعرفت على جان بول